

مشارب اللبن

والشبان المتعطلون

اللبن من المواد القليلة التي تتوافر فيها جميع العناصر اللازمة للتغذية الكاملة بمقادير مناسبة. وقد ثبت في حالات كثيرة أن وجود اللبن أو مشتقاته ضمن الغذاء يكفل كفاية للجسم ويرتب عليه تحسن في صحة مشاويله .

ومصر بلد زراعى يجب أن يكون إنتاج اللبن فيه متوافرا وبكميات كبيرة ؛ ويجب أن يتفنن في صناعة اللبن ومشتقاته كما صنعت هولندا والدانمارك وخصوصية أرضهما لا تبلغ خصوبة وادى النيل ؛ وجوهما لا يصلح لتربية الحيوان ومأكله من النبات بعض صلاحية الحو المصرى .

وتوافر اللبن ومشتقاته في مصر مورد من مورد الثروة القومية يقاوم حدة الفقر وينشر الرخاء في أوساط الفلاحين ، كما أنه عامل من عوامل الصحة العامة للأفراد والجماعات ولا سيما للأطفال في المدن والريف . فلو وفرنا لكل طفل كوبا من اللبن في اليوم أو أدخلنا في غذائه قطعة من اللبن ولو "القريش" لضمننا بذلك سلامة صحته وتقدم نموه ومقاومته للأمراض .

وليس هذا موضوعنا هنا وإنما هي مقدمة لابد منها في هذه المناسبة . أما ما قصدنا إليه بكلمة هذه الكلمة فهو ما لاحظناه في هذه الأيام من انتشار مشارب اللبن في العاصمة . هذه المشارب التي تقدم لروادها بدل القهوة والشاي والمشروبات الروحية أنواع اللبن في أشكال متعددة ، كاللبن الساخن ، واللبن المثلج ، واللبن المضروب بالبخر ، وابن الزبادى ، واللبن الناضج في الفرن ، والأرز باللبن ، وفالودج اللبن ، واللبن المجمد بالتبريد وهكذا .

وهذه المشارب تتراوح في الاستعداد وتنوع المشروبات والمأكولات اللبنة ، كما تتراوح في نظافتها ووجاهتها وموقعها في المدينة ، ولكنها تتفق جميعا في تخصيصها بنوع واحد من أنواع المشروبات تقدمه في أشكال مختلفات .

سألت أحد النادل في أحد هذه المشارب : كم يكسب هذا المحل في اليوم على وجه التقريب ؟ فكان جوابه لا أقل من عشرة جنيهات ؛ وسألته عن تكاليفه فقال : لا تزيد على خمسين جنيه . وهذا المحل مجهز بالأفران الكهربائية والبخارية وبأفضل التلجلات والأدوات ... ولما سألت هذا النادل . هل صاحب هذا المحل مصرى ؟ أجاب في أسف "ياريت . لكن ميينفعوش" !

رنت كلمات النادل في سمى وتجاوبت في نفسى ؛ رأس مال لا يتجاوز خمسمائة جنيهه
يربح في الشهر الواحد ثلثائة جنيه . وصاحب المشرب أجنبي . والخامات كلها مصرية .
وياليت يكون مصرياً . ولكن المصريين لا يفلحون في مثل هذه الأعمال !

هذه الكلمات العابرة تستحق الوقوف عندها ؟

لم لا يتوجه الشبان المصريون ، ولا سيما خريجو كلية الزراعة ، إلى هذا النحو من
الأعمال بدل تعطيلهم وتطاعهم إلى إحدى وظائف الحكومة ذات المرتب المحدود ، وبعضهم
يقبل أعمالاً كتابية لا تمت إلى ثقافته بصله ولا يزيد مرتبه فيها على ستة جنيهات باليومية
في بعض الأحيان ؟

لم لا نستغل حاجة السوق في العواصم إلى مشارب اللبن وهى نوع جديد من المشارب
يجتذب إليه عدداً كبيراً من رواد المقاهى الذين يميلون إلى التجديد ويجرون وراء "المودة" كما
يجتذب عدداً من الشبان والرجال المتطهرين الذين يشعرون من الجلوس إلى البارات
والمقاهى ، ويريدون أمكنة بريئة فتجذبهم مشارب اللبن بطهارتها ونقاها ؟ كما يجتذب
فريقاً آخر من المهتمين بالمباحث الصحية الذين يهمهم أن يشتروا بالقرش والقرشين مادة
يتناولونها في أثناء جلوسهم بدلا من القهوة والشاي وسواهما ؟

لم تحجم رؤوس الأموال عن ارتياد مثل هذه الأعمال ؟ ولم يحجم خريجو الزراعة عن
مثل هذا الاتجاه ؟

ضعف الشخصية : هو أول الأسباب التى يرجع إليها هذا الإحجام ؛ فالمصرى الذى قتل
شخصيته فى البيت وهو طفل ، وفى المدرسة وهو يافع وفتى ، وفى المجتمع وهو شاب ورجل .
هذا المصرى وتلك نذاته وبيئته أجدر الناس أن يصاب بضعف الشخصية فيجسم عن كل
ميدان يكلفه جهداً ويعرضه للنجاح والإخفاق . وفى الوظائف الحكومية متسع للجميع ،
فاذا ضاقت عن الجميع ففى الوسائط والمحسوبيات متسع للمحظوظين ، وعلى الباقين أن
يتلكنوا على الأبواب للاستجداء والرجاء !

وضعف ملكة الابتكار : هو السبب الثانى للإحجام ، فالمصرى الذى قتل فيه قوة
الابتكار فى البيت والمدرسة وحوربت فيه هذه القوة فى المجتمع . هو أجدر الناس بعدم
التفكير فى مشروعات جديدة غير المشروعات المطروقة المعروفة التى يتراحم عليها الجميع ، فلا تسع
لهم ، أو تسع ولكنها لا تدر عليهم من الربح بعض ما تدره المشروعات المبتكرة المستقاة من
دراسة السوق دراسة مستقلة وتلبية حاجتها المستمدة من هذه الدراسة فى الوقت المناسب
قبل أن ينتبه إليها الجميع .

وعدم الممارسة العملية : هو السبب الثالث من أسباب الإحجام ، فما تزال مدارسنا وكياناتنا بعيدة عن السوق وعن الحياة الواقعة ، والطلاب يعيشون في صومعة مغلقة لا يتفقد إليها نور الحياة العملية ، فإذا خرج الطالب منها بهرته الأنوار الخارجية وأعشت ناظريه ، فيظل يتحبط حائراً لا يدري من أين يبدأ الطريق ولا كيف يسلكه . ولو أن المدارس والكيانات — ولا سيما العملية منها — وصلت المعهد بالسوق ، وزاوجت بين العلم والعمل في أثناء الدراسة ، وعرفت الطلاب بالحياة الخارجية في أثناء الطلب ، لخرج الطالب ملماً بحاجة السوق عارفاً بشؤونها مدرباً على تليتها .



وما يقال عن " مشارب اللبن " يقال عن مشروعات كثيرة تختص بالألبان وحدها وبالمنتجات الزراعية والحيوانية بوجه عام . فبلد كمصر لم يكن يليق أن تكون به كلية واحدة للزراعة وثلاث مدارس متوسطة زراعية ، ومن باب أولى لم يكن يليق به أن يبقى متخرج واحد في هذه المعاهد متعطلاً من العمل . لولا لعنة الوظائف التي تسرى في دم المصريين سريان السم في الأجسام !

ثمانئة جنيه في الشهر في مشرب واحد للبن ؛ هذا مرتب ثلاثين من خريجي كلية الزراعة المحظوظين المحسودن من إخوانهم المتعطلين . واللبن لا يأتي في طائرة أو باخرة من وراء البحار ، وإنما يجلب من المزارع المصرية وعلى بعد بضعة أميال فقط من العاصمة .

ولو أن هؤلاء الشبان الذين حذقوا دراسة الإنتاج الزراعي والحيواني عنوا بتلبية حاجة السوق الملحة من الألبان ومشتقاتها الجيدة . هذه الحاجة التي كانت تضطرنا إلى الاستيراد بمئات الأرواف من الجنيئات ، بل بالملايين في بعض الأحيان — لو أن هؤلاء الشبان توفروا على تلبية حاجة السوق المصرية والشرقية لأسعدوا الريف بعد أن يسعدوا أنفسهم . ذلك أن الريف غنى بالمواد النباتية والحيوانية التي تستهلك استهلاكاً أولياً ساذجاً فتباع من أجل هذا بمن يجنس لا يكسب الفلاح من ورائه إلا قليلاً . على حين أن هذا الكسب كان خليفاً أن يتضاعف لو كثرت المعامل المنظمة ، وكثرت مثل هذه المشارب الراقية ، فيزداد دخل الفلاح الفقير ويسعد الريف على أيدي الشبان السعداء الذين تفتتح لهم أبواب الرزق بلا حجاب !



إن في مصر كنوزاً من المواد الخام ومن طرق الإنتاج المهمة ومن الأعمال الراجحة ، ولكن الشباب المصري ، مع الأمف ، لا ينتبه إليها حتى يسبقه الأجانب فيها ، وحتى تمتلئ السوق بها ، وحينئذ فقط يحاول تقليدهم وقد ثبتت أقدامهم فيها فيغلبونه بالخبرة وقوة الابتكار والشخصية .

وليس الشباب وحده ملوما في هذه الحال ، فأصحاب رؤوس الأموال المعطلة يجهلهم وحرصهم المعكوس وضعف شخصياتهم وعدم ثقتهم بالشباب المصرى لى بكل ما هو مصرى . هؤلاء الممولون يعطلون المال ويعطلون الإنتاج ويعطلون النهضة الاقتصادية على وجه الإجمال .

ولا نحب أن نمضى فى سرد وجوه النشاط والعمل التى يحتلها الأجانب ولا ينبذ إليها المصريون أى انتباه ، بل لا يسمون شيئا عن وجودها فذلك شيء يطول شرحه ، ولكننا نكتفى فقط بالإشارة إلى عملية " التوكيلات " وهى مكاتب منزوية لا تلفت النظر ، كل مكتب منها قد تعهد بإنتاج طائفة من المصانع فى أوروبا وأمريكا . فلا يباع شيء من إنتاج هذه المصانع فى مصر أو الشرق إلا عن طريق هذه المكاتب مقابل عمولة خاصة ، وكثيرا ما يصل ربح المكتب الواحد فى العام إلى عشرات الألوف من الجنيهات .

وتبحث عن مصرى واحد فى هذه المكاتب فلا تجد ، مع أن الكثير من المحلات المصرية يلجأ إليها فى صفقات الشراء والاستيراد ، فهى معروفة إذن لبعض المصريين ، ولكنها مجهولة من الشبان طلاب العمل لأنهم مشغولون عنها بالتسكع على أبواب الوزارات وفى طرقاتها يلحفون فى الرجاء بل الاستجداء !

والخلاصة أن مرافق العمل فى مصر ليست ضيقة ولا مغلقة ، ولكن المهم هى التى ضاقت بأصحابها والشخصية التى ضعفت عن المقاومة ، وأغلال التربية الفاسدة وقيود التعليم العقيم هى التى تقعد بالشباب المصرى عن موارد الكسب الواسعة فى جميع أرجاء البلاد .

من شعر شوقى فى شبان العصر :

شباب قنع لا خير فيهم وبورك فى الشباب الطامعين